المقدمة

أسهم الرواد الأوائل أمثال عبدالرحمن بن خلدون، وأوجست كونت، وكارل ماركس، وهربرت سبنسر، ودور كايم، وماكس فيبر في إرساء الأفكار والأسس التي فسرت كثيرًا من التغيرات والتبدلات في الحضارة المادية المعاصرة، فبالرغم من اختلاف الأزمان والتطور المتسارع في المجالات كافة، إلا أن آراءهم وكتاباتهم تمتلك المقومات الأساسية لحركة التطور العمراني للدول والممالك.

لقد سبق ابن خلدون[١] عصره بأفكار وتأملات ونظريات ما زالت قادرة على تفسير التغيرات في الحضارة المادية المعاصرة، بالرغم من التطور التقني المعاصر، وما ترتب عليه من سهولة اتصال بين الأفراد، في ظل صراع محتدم بين الطبقات الحاكمة والشعوب المحكومة التي زاد وعيها، وصارت تطالب بحقوقها، وتسعى لاختيار الأنظمة التي توفر احتياجاتها وإسقاط الأنظمة التي لا تكفل لها حق العيش الكريم. وهكذا اتسع مفهوم الصراع، ولم يصبح بين العصبة للحصول على الجاه والمركز المرموق حسب فكر ابن خلدون، بل أصبح بين الطبقة الحاكمة والطبقة المحكومة، ما ترتب عليه ثورات

---

(١) عبدالرحمن بن محمد بن خلدون، أبو زيد ولي الدين الحضرمي الإشبيلي، (١٣٣٢-١٤٠٦م) مؤرخ من شمال إفريقية، تونسي المولد أندلسي الأصل، عاش بعد تخرجه من جامعة الزيتونة في مختلف مدن شمال إفريقية، حيث رحل إلى بسكرة وغرناطة وبجاية وتلمسان، كما تَوَجّهَ إلى مصر، فأكرمه سلطانها الظاهر برقوق، ووَلِيَ فيها قضاء المالكية، وظلّ بها ما يناهز ربع قرن (٧٨٤-٨٠٨هـ)، حيث تُوُفّيَ عام (١٤٠٦م) عن عمر بلغ ستة وسبعين عامًا، ودُفِنَ قرب باب النصر بشمال القاهرة تاركًا تراثًا ما زال تأثيره ممتدًّا حتى اليوم. ويعد ابن خلدون مؤسس علم الاجتماع الحديث وأبو التاريخ والاقتصاد. انظر: ابن خلدون، عبدالرحمن: **مقدمة ابن خلدون**، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٩م.

واضطرابات، ويشير الجابري إلى وجهة نظر ابن خلدون عن هذه التغيرات بأنها تحدث نتيجة الانتقال من عالم تسود فيه خدمة المصلحة المشتركة إلى عالم يطغى عليه نزاع المصالح الخاصة وتناقضها[١].

وبالرغم من دور الاضطرابات السياسية والإرهاب والبطالة والفقر وغيرها من الأسباب في زعزعة الأمن والاستقرار، إلا أن ابن خلدون الذي فسر أسس قيام الدول ودعائمها على أساس العصبية، يرى أن فساد العصبية أو السلطة الحاكمة ورغبة كل فرد من أفرادها في الانفراد بالجاه والسلطة يؤدي إلى انفراط عقدها، نتيجة تبدد مفهوم المصالح المشتركة الذي اجتمع عليه أصحاب السلطة الحاكمة عند قيام دولتهم، وبروز مفهوم المصالح الخاصة التي يسعى كل فرد لتحقيقها، وبذلك تضعف شوكتهم، وتقل هيبتهم، وتزول دولتهم.

كما أن ابن خلدون فسر سنن قيام الحضارات وسقوطها من منظور اجتماعي بحت اعتمادًا على العوامل التي تدعم قيام الحضارات، والتي من أهمها الأمن والاستقرار، وكذلك العوامل التي تسبب سقوط الحضارات، والتي من أهمها الخلاف بين الحكام والمحكومين في إطار تبدد مفهوم العقد الاجتماعي بين الدولة وأفراد المجتمع.

تشير كلمة الحضارة بصفة عامة إلى التطور البشري عبر مراحل مختلفة من الحياة، فقد مر الإنسان بمراحل من الحياة أكسبته خبرات، جعلته يتخذ إجراءات وتدابير لتسيير أمور حياته، ولحماية نفسه ووقايتها من البيئة القاسية من حوله، حتى وصل إلى درجة من التطور تشير في مجملها إلى المراحل المختلفة من الحضارة التي نشأت من صورة بدائية في الكهوف والجبال إلى ناطحات السحاب، فالحضارة بصفة عامة تشير إلى مراحل التطور البشري وما أسفر عنه من منجزات عمرانية وغير عمرانية تعبر عن الانتقال التدريجي إلى مراحل أكثر تطورًا.

---

(١) الجابري، محمد عابد: **فكر ابن خلدون: العصبية والدولة معالم نظرية خلدونية في التاريخ الإسلامي**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط٨، ٢٠٠٧م، (ص٢٣٤).

مفهوم الحضارة في اللغة

الحضارة في اللغة: «التمدن والتطور والإقامة في الحضر»[١]. و«الحضر خلاف البدو، والحاضر المقيم في المدن، والحضارة تشير إلى الأحياء العظيمة والروح المشيدة»[٢]. و«الحضر خلاف البدو، والحاضرة خلاف البادية، والحضارة الإقامة في الحضر»[٣].

مفهوم الحضارة في الاصطلاح

أما في الاصطلاح فالحضارة: «كل معقد يشمل المعرفة، والعقيدة، والفن، والأخلاق، والقانون، والعادات، وكل ما يكتسبه الإنسان في المجتمع، فالحضارة مجموعة النظم والاستجابات التي تميز مجتمعًا معينًا عن غيره»[٤].

التعريف الإجرائي للحضارات: الحضارات الإنسانية القديمة والحضارة الإسلامية والحضارة الغربية التي أثرت في مجتمعاتها وشعوبها في مجالات المعرفة والعقيدة والفن والأخلاق والقانون والعادات وغيرها.

مفهوم الحضارة عند ابن خلدون

يرى ابن خلدون أن الحضارة في إنشاء المدن والوصول بها إلى درجة من الكمال والرفاهية، يتنافى مع طابع الخشونة والبداوة، ولذلك أطلق عليها الحضارة المفسدة

---

(١) الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب: **القاموس المحيط**، راجعه أنس محمد الشامي وزكريا جابر أحمد، دار الحديث، القاهرة، ط١، ٢٠٠٨م، مادة (حضر)، (ص٣٧٣).

(٢) ابن منظور، جمال الدين بن محمد: القاموس المحيط، دار صادر، بيروت، ط٤، ٢٠٠٥م، مادة (حضر)، (ج٤-ص١٤٨).

(٣) الرازي، محمد بن أبي بكر: **مختار الصحاح**، دار الكتاب العربي، بيروت، ٢٠٠٤م، (ص٧٩).

(٤) الكبيسي، عامر: **إستراتيجيات مكافحة الفساد: ما لها وما عليها**، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، ط١، ٢٠٠٦م، (ص٧٧).

openkan.com

للعمران، على افتراض أن الحضارة وما يرافقها من ترف ورفاهية تصيب ساكني المدن بالميل إلى الدعة والراحة، ما يجعل حضارتهم ورفاهيتهم تتعرض للخطر نتيجة رغبة أهل البادية في الحصول على ما ينعمون به من ترف ورفاهية، وذلك يشجعهم على الانقضاض عليهم وتدمير دولتهم، فالحضارة وما تتضمن من قصور شاهقة وأبنية مرتفعة وملابس وثياب فاخرة، تجتذب البدو الذين يعيشون حياة خشنة ويعانون من قلة ذات اليد، ولذلك يسعون لقتال أهل المدن والاستيلاء على ثرواتهم والتنعم بها، فالحضارة تعني الوصول إلى مظاهر الأبهة والعظمة التي يتمتع بها أهل المدن وسلاطينهم الذين تميل طبائعهم إلى الدعة والحضارة المفسدة للعمران[١].

أي إن الحضارة عند ابن خلدون هي تكوين المدن العظيمة التي تتمتع بقدر من الثراء والعظمة والأبهة، وهو ما يجعل أصحابها وسكانها وحكامها يميلون إلى الدعة والراحة، الأمر الذي يشجع أهل البادية المجاورين لهم بالانقضاض عليهم، والاستيلاء على ثرواتهم، ثم لا يلبثون أن يكتسبوا الصفات نفسها ويميلون إلى الدعة والراحة، وأيضًا تزول دولتهم على أيدي غيرهم، لذلك أسماها ابن خلدون الحضارة المفسدة للعمران، بوصف أن الحضارة يترتب عليها عمران في بداية تكوينها، ولا يلبث أن يزول بعد ركون أهل الحضارة للراحة، فالحضارة يترتب عليها فساد العمران.

---

(١) الجابري: **فكر ابن خلدون: العصبية والدولة معالم نظرية خلدونية في التاريخ الإسلامي**، (ص٢٣٧-٢٣٨).